المجلة التاريخية الجزائرية المجلد:04، العدد: 01، جوان 2020. العدد التسلسلي: 13. ص116-135
Volume: 04-N: 01, June 2020- S/ N 13. p116-135 ISSN:2572-0023

الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس والعمل السياسي – آراء ومواقف –

Sheikh Imam Abdul Hamid bin Badis and political action views and positions

أ.د/ إبراهيم لونيسي *
جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس
Iounicib@yahoo.fr

History of the article/معلومات المقال		
Received/الإرسال	Accepted/المراجعة	Published/القبول للنشر
2020/02/06	2020/04/14	2020/06/30

الملخص:

يعد الشيخ الامام عبد الحميد بن باديس من أبرز الشخصيات التي ترّكت بصمتها واضحة في تاريخ الجزائر المعاصر وفي الميدان التربوي والتعليمي بصفة خاصة ولقد كتبت المئات من الدراسات والابحاث التاريخية حول نشاطاته في هذا الميدان ولكن تلك التي تناولت نشاطه السياسي قليلة جدا رغم الدور الكبير الذي لعبه بخصوص هذا الميدان وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى ابرازه من خلال تحليل بعض وآرائه ومواقفه السياسية وذلك بالإجابة على جملة من الأسئلة أبرزها كيف ولج ابن باديس عالم السياسة؟ كانت مواقفه وآرائه السياسية؟ وكيف يجب ان ننظر الى هذه المواقف والآراء؟ هل بعيون عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين أم بعيون عصرنا هذا؟

الكلمات المفتاحية: الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، السياسة الفرنسية، الجزائر،

Abstracter:

Sheikh Imam Abdul Hamid bin Badis is one of the most prominent figures who left its mark in the contemporary history of Algeria and in the educational field in particular. hundreds of studies and historical research on his activities in this field were written, but those that dealt with his political activity are very few despite The great role he played in this field, which is what this study seeks to highlight by analyzing some of his political views and positions, by answering a number of questions, most

* المؤلف المرسل/The author of the sender
Pr/ Brahim Lounici: university of sidi bel abbes, Algeria.
Email: Iounicib@yahoo.fr

notably how did Ibn Badis enter the world of politics? His attitudes and political views? How should we look at these positions and opinions? Using the perspective of the twenties and thirties of the twentieth century or in nowadays perspective?
key words: Abdul Hamid bin Badis, French politics, Algeria, political work.

المقدمة:

رغم الدراسات والأبحاث الكثيرة التي خصصت لشخصية عبد الحميد بن باديس، وأفكاره، فإن جوانب كثيرة من فكر الرجل وأعماله ما تزال لم تنل بعد حقها من الدراسة والبحث، فمعظم الدراسات التي تناولت فكر هذا الرجل كلها تدور في الجانب التربوي والإصلاحي، دون الجوانب الأخرى، ومن بينها الجانب السياسي، خاصة وأن الرجل ظهر في فترة حاسمة وحرجة من تاريخ الجزائر المعاصر، كما أنه ينتمي إلى أسرة عريقة لعبت أدوارا سياسية بارزة عبر المراحل المختلفة التي مر بها تاريخ الجزائر منذ قرون خلت، ويمكن لنا أن نعيد ذلك إلى القرن الحادي عشر الميلادي وتحديدا إلى جده المعزّ بن باديس الذي حارب المذهب الإسماعيلي الباطني وساهم مساهمة كبيرة في القضاء على بدع الشيعة في إفريقية، ويعد المعز بن باديس الصنهاجي أبرز وأعظم أمراء بني زيري ويقول عنه أبو القاسم سعد الله: « وقد ترك بصماته على السياسة والدين والأدب والفن والعلم في القيروان فكان كما قال بعضهم هو بركليز العرب والمسلمين في إفريقية» [1]. وبالتالي فإنه ليس بالأمر الغريب أن نجد ابن باديس يقرن اسمه في الكثير من المرات بـ (الصنهاجي) وهذا دليل على مدى حرصه الشديد على الحفاظ على ذاتيته، وهويته كما سيتضح لنا ذلك من خلال هذه الدراسة.

ولقد برز من هذه الأسرة أيضا العديد من الرجال خلال العهد العثماني مثل المفتي بركات بن باديس في قسنطينة وذلك خلال القرن السادس عشر، وكذلك أحمد بن باديس الذي كان إماما بقسنطينة على أيام شيخ الإسلام محمد بن عبد الكريم الفكون خلال القرن السابع عشر، ونذكر أيضا جده المباشر مكي بن باديس الذي كان قاضيا وعضوا في المجلس العام وفي اللجنة البلدية لقسنطينة، وكان جد محترم عند السكان للدور الذي لعبه خلال المجاعة الكبرى التي تعرضت لها الجزائر خلال الفترة ما بين 1867-1869 بتقديمه لمساعدات مادية هامة

للسكان حين دعي للاستشارة بشأن نكبة المجاعة هذه في الجزائر وباريس من طرف اللجنة التي شكلت للتحقيق في أسباب المجاعة. وهناك أيضا عمه احميدة بن باديس وكذا والده مصطفى بن مكي بن باديس أعضاء في المجالس النيابية المختلفة، كما أن عمه هذا شارك سنة 1881 مع ثلاثة من زملائه النواب في كتابة عريضة طويلة شرحوا فيها بالتفصيل حالة الشعب الجزائري وأنواع المظالم والاضطهادات التي أصبح يعانيها في أواخر القرن التاسع عشر من الإدارة الاستعمارية والمستوطنين الأوروبيين الذين استحوذوا على الأراضي الخصبة من الجزائريين وتركوهم للفقر والحوج، وقدموا هذه العريضة إلى أحد أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي الذي حضر إلى الجزائر من أجل تقصي أحوالها، كي يقدمها بدوره إلى الحكومة الفرنسية وإلى أعضاء مجلس الشيوخ، والعريضة مؤرخة في 10 أفريل 1891 [2].

وبعد كل هذا ليس من المعقول أن لا يرث ابن باديس هذه الجينات السياسية من عائلته العريقة في هذا المجال، ولكن الشيء المؤكد أنه ورث ذلك بشكل عكسي إذ لم يشغل أي وظيفة رسمية في الإدارة الاستعمارية طيلة حياته، هذه الإدارة التي كان فيها لوالده مكانة مرموقة، وكان ابن باديس يحث طلابه على تلقي العلم من أجل العمل وليس للحصول على وظيفة لدى الإدارة الاستعمارية.

وكل هذا يجعلنا نقول أيضا أنه ليس بالأمر الغريب أن ينغمس الشيخ عبد الحميد بن باديس في العمل السياسي، ولكن السؤال هو كيف انغمس في السياسة؟ وكيف كانت مواقفه وآرائه السياسية؟ وهل كانت أعماله السياسية تصرفات شخصية يقوم بها ويمارسها باسمه الشخصي وخاصة بعد 1931 عندما أصبح رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أم أنها كانت تصرفات وأفعال باسم الجمعية مع العلم أن القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ينص في مادته الثالثة «لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية»؟ وهل يجب علينا أن نقرأ كتابات الإمام عبد الحميد بن باديس السياسية في ظاهرها أم يجب الغوص في أعماقها، ونستشف ما هو موجود بين سطورها؟ وهل يجب علينا أن نقرأها بعيون العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين أم بعيون عشرينيات وثلاثينيات

القرن العشرين؟ وهل كان ابن باديس اندماجيا كما يدعي البعض؟ وإذا كان كذلك بماذا نفسر تحريمه للتجنس في فتواه التي أصدرها في سنة 1937 ونشرها على صفحات جريدة البصائر خلال شهر جانفي 1938 والتي ملخصها أن «المتجنس مرتد بالإجماع، وأن المتجنس يكون قد جنى على نسله بإخراجهم من حظيرة الإسلام وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه وإثمها متجدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته» [3]. وكيف كان ابن باديس ينظر إلى فكرة الاستقلال والحرية؟ وهل كان مؤمنا بأنه سيأتي يوم على الجزائر وتسترجع استقلالها أم أنه كان مؤمنا بفكرة ضرورة ربط الجزائر بفرنسا؟

أولا/ ضرورة العمل السياسي للعالم

يرى الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس بأن العالم لا يجب عليه أن يحصر أعماله فقط في الميدان العلمي، بل يجب عليه أن يتعداها إلى المجال السياسي، وعليه أن يمزج بين السياسة والعلم والدين، لأن هذين الأخيرين لا يمكن لهما أن ينهضا ويصعدا أمام الأخطار إلا إذا نمت عملية ممارسة السياسة بجد ونشاط، ولقد صرّح بهذا في المحاضرة التي ألقاها في تونس سنة 1937، بدعوة من جمعية الطلبة الجزائريين والجمعية الوداية الجزائرية الإسلامية بتونس، وهي بعنوان "الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري" والتي نشرت ملخصة في جريدة البصائر التي صدرت يوم 18 جوان 1938: «وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معا، وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم والابتعاد عن مسالك السياسة، مع أنه لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد».

ونجده يكرر هذا الموقف في مقال له يرد فيه على الوالي العام الفرنسي في الجزائر، الذي صرح للجريدة الفرنسية (لبوتي باريزيان) يتهم فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورجالها بالانغماس في السياسة، وأنهم ابتعدوا عن واجباتهم الدينية الأساسية، وأبعدوا غيرهم عن واجباتهم وأعمالهم الطبيعية التي لا تخرج في نظره عن دائرة التعليم والتهذيب القرآني، وكانت مقالة ابن باديس بعنوان (حول تصريحات الوالي العام لمكاتب لبوتي باريزيان) والتي نشرت في جريدة (الصراط

السوي) في عدها الصادر يوم 25 ديسمبر 1933، حيث كتب يقول: «ثم ما هذا العيب الذي يعاب به العلماء المسلمين إذا شاركوا في السياسة؟ فهل خلت المجالس النيابية الكبرى والصغرى من رجال الديانات الأخرى؟ وهل كانت الأكاديمية الفرنسية خالية من آثار الوزير القسيس رشليو؟ أفيجوز الشيء ويحسن إذا كان من هناك، ويحرم ويقبح إذا كان من هنا؟ ... كلا لا عيب ولا ملامة وإنما لكل امرئ ما اختار ويمدح ويذم على حسب سلوكه في اختياره».

ويقول الشيخ الإمام موجها خطابه للسيد الوالي العام الفرنسي أنه لا يوجد هناك أي مانع أن يدخل رجال الجمعية ميدان العمل السياسي «فلو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه جهرا، ولضربنا فيه المثل بما عرف عنّا من ثباتنا وتضحياتنا، ولقدنا الأمة كلها للمطالبة بحقوقها، ولكن أسهل شيء علينا أن نسير بها على ما نرسمه لها، وأن نبلغ من نفوسنا إلى أقصى غايات التأثير عليها، فإن ما نعلمه، ولا يخفى على غيرنا أن القائد الذي يقول للأمة (أنك مظلومة في حقوقك وأنني أريد إيصالك إليها) يجد منها ما لا يجده من يقول لها (إنك ضالة عن أصول دينك، وإنني أريد هدايتك) فذلك تلبيه كلها، وهذا يقاومه معظمها أو شطرها، وهذا كله تعلمه، ولكننا اخترنا ما اخترنا لما ذكرنا وبينا وأننا فيما اخترناه لماضون عليه متوكلون». وهذا معناه أن ابن باديس وأصحابه في جمعية العلماء فضلوا تكوين الإنسان والفرد الذي يقود الأمة للقضاء على الظلم المسلط عليها، وليس أن يتولى فرد واحد قيادة أمة ضالة للقضاء على الظلم، وهذا في حقيقة الأمر هو قمة العمل السياسي.

ولقد سبق لابن باديس أن وضح هذه الفكرة في رده على أحد النواب الجزائريين الذي اتهم جمعية العلماء بالتدخل في شؤون لا علاقة لها بالتعليم، وانفجرت بتعاليم منافية للعلم ومثيرة للأحقاد والتحزبات فيقول أن مفهوم التعليم عند هذا النائب وأمثاله هو أن يجلس الشيخ في وسط حلقة ثم يلقي عليهم مسائل من النحو، ومسائل من كتاب الصلاة هذا فقط هو التعليم، ولكن التعليم الحقيقي في نظر ابن باديس هو ذلك الذي يلقن للمتعلمين مبادئ دينهم ولغتهم، ويحفظون فيه من مواطن الفساد ومهاوي الشقاء وبراثن المضللين ويهيئون للحياة تهيئة صحيحة تكون منهم رجالا مسلمين يخدمون أمتهم ووطنهم ودولتهم.

ومن خلال هذه الأمثلة نرى أن نظرة ابن باديس إلى السياسة كانت نظرة إيجابية وتتمثل في تأييد العمل السياسي بل يعتبره شيء ضروري. وانطلاقا من هذا المفهوم نجد ابن باديس تناول في الكثير من كتاباته ودروسه العديد من القضايا السياسية ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر القواعد الأساسية التي يجب أن يقوم عليها الحكم الديمقراطي والشروط التي يجب أن تمارس وفقها العملية الديمقراطية بشكل مضبوط.

استخلص الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس هذه القواعد والضوابط من الخطبة التي ألقاها أبو بكر الصديق ﷺ عند توليه الخلافة، وأطلق الشيخ ابن باديس على هذه القواعد "أصول الولاية في الإسلام" [4]، والملاحظ على هذه الأصول أنها لا تختلف كثيرا عن القواعد والأسس التي تقوم عليها الديمقراطية في المفهوم الغربي وتتمثل في:

– أن السيادة للأمة وهي مصدر كل سلطة في الدولة "فلا يتولى أحد أمرها إلا برضاها".

– المسؤولية في الدولة تكليف ولا تخول لمن يتولاها أية أفضلية على غيره فلا تكون مصدر أي تمييز أمام القانون.

– أن يكون من يتولى شؤون الأمة هو أكفؤهم، وليس بالضرورة خيرها في السلوك «إذا كان شخصان اشتركا في الخيرية والكفاءة وكان أحدهما أرجح في الخيرية والآخر أرجح في الكفاءة لذلك الأمر قدم الأرجح في الكفاءة على الأرجح في الخيرية».

– حق الأمة في مناقشة رجال الدولة ومحاسبتهم على أعمالهم وحملهم على ما تراه هي لا ما يرونه هم.

– يخضع كل موظف في الدولة إلى مبدأ المسؤولية في أعماله أمام الأمة التي تراقبه وتحاسبه وتعزله عند الحاجة.

– أن لا تحكم الدولة إلا بالقانون الذي رضيته الأمة لنفسها إذ أن الدولة ليست إلا إرادة تنفيذ لإرادة الأمة، التي تطيع القانون لأنه قانونها، لا لأن سلطة الدولة هي التي فرضته على الأمة مهما كانت تلك الدولة، أي خضوع الأمة للقانون الذي رضيته لنفسها يجعلها تتسم بأنها حرة في

تصرفاتها وأنها تسير نفسها، وأنها ليست ملكا لغيرها من الناس لا الأفراد ولا الجماعات ولا الأمم.

– الناس سواسية أمام القانون يطبق على القوي دون رهبة لقوته، وعلى الضعيف دون رقة لضعفه.

– حفظ التوازن داخل الأمة بأخذ الحق من القوي دون أن يقصد كسره ويعطي للضعيف حقه دون أن يقصد تذليله.

– تعويد الحاكم والمحكوم معاً على الشعور بأنهما مشتركان في الحكم وأن كل واحد منهما له دور يمثله في مسرح الحكم.

– ينفذ المسؤولون إرادة الأمة وهم يقومون بعملهم بعد مصادق الأمة على برامج عملهم فتكون على علم مسبق بما سيعملون.

– الناس كلهم سواسية أمام القانون لا فرق بين القوي والضعيف.

– صيانة حقوق الأفراد وحقوق الجماعات.

ويرى ابن باديس أن الحاكم المسلم يجب أن يعتمد في حكمه على رأي أهل الحل والعقد، وأن لا يستكن فقط إلى رأيه، وهؤلاء هم الأمراء من المسلمين الذين لا يمثلونه هو بل يمثلون الخلافة والإمامة، وهم أيضا العلماء أي أصحاب الرأي والخبرة والكفاءة، فالعلماء يحددون أمر الله وسرعه، والأمراء يقومون بتنفيذه، والمستنتج من هذا هو دعوة صريحة إلى الفصل بين السلطات فالعلماء يمثلون السلطة التشريعية، والأمراء يمثلون السلطة التنفيذية. ومن هنا يمكن لنا تحديد مبادئ ابن باديس في النقاط التالية:

– الأمة هي مصدر كل سلطة.

– الأمة تعين وتعزل الحكام وتحاسبهم.

– الأمة تحكم نفسها بنفسها، والحاكم ما هو إلا مجرد منفذ لإرادة الأمة.

– تراقب الأمة الحاكم وتسائله عند الحاجة وتستطيع عزله.

– الأمة هي التي تضع القانون عن طريق أهل الحل والعقد والحاكم يتولى أمر تنفيذه.

ثانيا/ موقفه من الاندماج

إن أهم ما يلاحظه الدارس للكثير من كتابات ابن باديس السياسية هو انتهاجه فيه لأسلوب المرونة في الوصول إلى أهدافه البعيدة، دون التضحية بالمبادئ الأساسية التي سخر كل حياته من أجل العمل على تجسيدها على أرض الواقع الجزائري، الذي كان يعاني من شتى أنواع الظلم والاضطهاد والتجهيل، والتجويع والتفقير، وهذه الأهداف هي الحفاظ على المقومات الأساسية المشكلة لهوية الشعب الجزائري وخصوصياته وهي الإسلام والعروبة والوطن الجزائري بمعناه الشامل والواسع، لهذا نجده يقول إنه بإمكان الظروف أن تكيفنا كما تشاء، إلا أنها لا تستطيع قهرنا.

فقد يكتب كلاماً تظهر فيه روح التعاون مع سلطات الاحتلال، إلا أنه في الحقيقة يكتب ذلك من أجل تجنب بطشها وقهرها، فمثلا عندما كتب يقول في جريدة الشهاب الصادرة بتاريخ 24 جوان 1926، وذلك بعد مرور سنة على صدورها: «قد تأسست هذه الصحيفة على أن تخدم الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية، فكانت في جميع مواقفها ترمي بنفسها في سبيل الأمة حيث تعطب وحيث تسلم، وكانت في جميع مواقفها متشبثة بالجمهورية الفرنسوية، مستصرخة عدلها وإنسانيتها مستعينة بها على كل من يخرج عن مبدأ الحرية والأخوة والمساواة» [5].

فالشيخ الإمام عندما كتب هذه الكلمات كان يدرك جيدا أن القارئ المتفحص والمتمعن فيما يقرأ يدرك أنه عبارة عن انتقاد غير مباشر للسياسة الفرنسية المتبعة في الجزائر المتميزة بالبطش والظلم والتعسف، لأن فرنسا في الجزائر تنكرت لكل شعارات ثورتها ومبادئها المختلفة وعلى رأسها الحرية والأخوة والمساواة.

كما نستشف هذا المسلك أيضا عند الشيخ الإمام من مقالته (مبادؤنا وغايتنا وشعارنا) المنشورة على صفحات جريدة (المنتقد) في عددها الصادر يوم 02 جويلية 1925، والتي يقول فيها بعبارة صريحة واضحة: «نحن قوم مسلمون جزائريون، في نطاق مستعمرات الجهورية الفرنسوية، فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعونا إلى كمال إنساني...

لأننا نعلم أنه لا يقدر الناس أن يعيشوا بلا دين، وأن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها، وأن الحكومة التي تتجاهل دين الشعب تسيء في سياسته وتجلب عليه وعليها الأضرار والأتعاب، بل ربما حصلت لها هزاهز وفتن كما أصاب حكومة هيريو في العهد القريب، لا نعني بهذا أننا نخلط بين الدين والسياسة في جميع شؤوننا، ولا أن يتدخل رجال الدين في سياستنا، وإنما نعني اعتبار الدين قواما لنا ومعينا شرعيا لسلوكنا، ونظاما محكما نعمل عليه في حياتنا...».

فابن باديس بهذه الكلمات يحدد خطا فاصلاً بين الأمة الجزائرية وفرنسا الاستعمارية، وهذا الخط يمثله الإسلام الذي اضطهدته كثيرا فرنسا وما تزال تضطهد فيه، وهذا الإسلام هو دين الشعب الجزائري وبالتالي فإن فرنسا لا ترغب لهذا الشعب أن يعيش لأنه لا يمكن لأي شعب أن يعيش بلا دين!!

ويواصل ابن باديس عملية تحديد الفوارق العميقة بين الأمة الجزائرية وفرنسا في قوله: «وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه ونبغض من يبغضه ويظلمه فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري ونحبب بنيه فيه، ونخلص لكل من يخلص له ونناوئ كل من يناوئه عن بينة ومن غير بينة».

ولكن بعد هذا الكلام القوي والقاسي في حق فرنسا يحاول تليين لهجته عندما يقول: «ولأننا مستعمرة من مستعمرات الجمهورية الفرنسوية، نسعى لربط أواصر المودة بيننا وبين الأمة الفرنسوية وتحسين العلائق بين الأمتين المرتبطتين بروابط المصلحة المشتركة، والمنافع المتبادلة من الجانبين، تلك الروابط التي ظهرت دلائلها وثمراتها في غير ما مواطن الحرب والسلم». وبعد ذلك يظهر ابن باديس في قمة الذكاء السياسي عندما يتحدث عن ما قدمته الأمة الجزائرية من خدمات لفرنسا أيام عسرها ويسرها، وبدون شك أن ابن باديس كان يدرك في حديثه هذا أن هذه الخدمات لم تكن طوعية من الجزائريين بل قدمت قصرا وبالقوة وتحت التهديد أي رغم أنف الجزائريين، فيستدرك فيقول: «ومع الأسف لم نر الجزائر نالت على ذلك ما يصلح أن يكون جزاءها، فنحن ندعو فرنسا إلى ما تقتضيه مبادئها الثلاثة التاريخية (الحرية والمساواة والأخوة) من رفع مستواها العلمي والأدبي بتعميم التعليم...».

إن إيمان ابن باديس بالجزائر لا يفوقه أي إيمان آخر سوى إيمانه بالله سبحانه وتعالى وتمسكه بالإسلام لهذا نجده يقول في محاضرة له بعنوان (لمن أعيش) ألقاها في أواخر سنة 1936 ونشرها ملخصة في مجلة الشهاب في عدد جانفي 1937 [6]، وأجاب على السؤال: «أعيش للإسلام والجزائر» هذه الجزائر كان يعتبرها «وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص»، ويقول في موضع آخر من المحاضرة: «وأحتسب أن كل ابن وطن يعمل لوطنه لا بد أن يجد نفسه مع وطنه الخاص في مثل هذه المباشرة وهذا الاتصال»، ويستدرك ويقول: «نعم إن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا هي دائما منا على بال، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد أنه لا بد أن نكون قد خدمناها وأوصلنا إليها النفع والخير عن طريق خدمتنا لوطننا الخاص»، ولقد ذكر هذه الأوطان القريبة منه وهي تونس والمغرب الأقصى والوطن العربي والإسلامي، ولكنه لم يذكر الوطن الفرنسي لأنه كان يعرف في أعماق نفسه أن لا شيء يربطه بهذا الوطن سوى علاقة مستعمِرِ بمستعمَر، وأن الفرق بينه وبين الجزائر هو الفرق بين السماء والأرض.

وهنا من حقنا أن نتساءل: هل من لديه مثل هذه الأفكار وغيرها والتي ظهر فيها مدى حبه لوطنه الجزائر أن يكون من دعاة الاندماج؟ وبأنه فعلا كان يطالب بربط الجزائر بفرنسا ربطاً حقيقياً؟

قبل الإجابة على هذه الأسئلة نشير إلى أن فكرة دمج الجزائر بفرنسا هي الفكرة المحورية والأساسية التي دارت هولها السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر منذ سنة 1834، عند صدور المرسوم الملكي الذي يقر بإلحاق الجزائر إلحاق فعلي بفرنسا، ويتبع ذلك بالإلحاق القانوني بصدور دستور 4 نوفمبر 1848 الذي ينص في مادته 109 على أن الجزائر تعتبر أرضا فرنسية، حيث تم ترسيم سياسة دمج الجزائر بفرنسا، وهذه الفكرة لم تبدأ في الظهور في أوساط الجزائريين، ويولون لها أهمية إلا بعد أن أخذ بعضهم يتجنس بالجنسية الفرنسية ليصبحوا بذلك مواطنين فرنسيين، والذي وصل عددهم سنة 1899 إلى حوالي 1131 جزائريا معظمهم جنود يرغبون في الترقي إلى رتبة عسكرية أعلى مخصصة فقط للمواطنين الفرنسيين [7]، إذ أصبح كل هؤلاء

يرغبون في رؤية جميع الجزائريين يتمتعون بالجنسية الفرنسية ليتخلصوا من وضعهم الشاذ في المجتمع الجزائري حيث ينظر إليه كأقلية ملعونة [8]. وبشكل عام فإنه خلال الفترة ما بين 1865-1914 لم يحصل على المواطنة الفرنسية من الجزائريين إلا عدد ضئيل جدا، ولقد كان الرأي العام الجزائري معارضا للتجنيس حيث كان يسمي المتجنس (المطوربي) أو المرتد عن دينه، وكانوا منبوذين في المجتمع [9].

ولقد أصدر الشيخ عبد الحميد بن باديس فتوى سنة 1938 يعتبر فيها المتجنس مرتدا عن الإسلام، ولقد أشرنا إلى هذه الفتوى سابقا. ويقول أبو القاسم سعد الله أن ابن باديس من خلال هذه الفتوى قصد الإعلان عن موقف سياسي- ديني يحفظ للجزائر هويتها [10].

وبشكل عام فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقفت بشكل حازم ضد الاندماج وكان رئيسها الشيخ الإمام ابن باديس من أشد هؤلاء المعارضين ولقد ظهر ذلك بشكل واضح عندما قام فرحات عباس بنشر مقالته التي ينكر فيها وجود امة جزائرية تحت عنوان "فرنسا هي أنا" والتي يقول فيها: «لو كنت اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنيا، وعليه فلن أموت من أجل وطن جزائري لأن هذا الوطن غير موجود، وأنا لم أكتشفه، لقد سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات، وبحثت في المقابر، لم أجد أثرا لوطن اسمه الجزائر...» [11].

ولقد هبّ الشيخ الإمام هبة قوية للرد على ما كتبه فرحات عباس لأنه رأي أن الأمور قد تجاوزت كل الخطوط الحمراء المرسومة، والتي لا يجب لأيٍ كان تجاوزها، هبّ ابن باديس ليقول كلمته الصريحة [12] دون أي اعتبار للردود التي من الممكن أن تأتيه من جهات كثيرة ومختلفة.

يقول ابن باديس: «قال البعض من النواب المحليين، ومن الأعيان ومن كبار المتوظفين بهذه البلاد، أن الأمة الإسلامية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة، لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنسا، ولا أمل لها في تحقيق هذه الرغبة إلا بأن تمد فرنسا يدها بكل سرعة فتلغي جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج التام، بل لقد قال أحد النواب النابهين أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر، وأخيرا أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا به يصيح:

فرنسا هي أنا». ويجيب ابن باديس هذا النائب الذي هو فرحات عباس: «ثم إن هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها وفي دينها، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري، بحدوده المعروفة، والذي يشرف على إدارته العليا السيد الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية».

قلنا أن ابن باديس كان يدرك جيدا أن (كلمته الصريحة) ستجلب له ردود أفعال كثيرة ومختلفة، وهو ما تحدث عنه في مقالة أخرى بعنوان (حول كلمتنا الصريحة) [13] حيث كتب يقول فيها: «لقد أحدثت الكلمة الصريحة... أثرها المطلوب،... فتلك كانت أول مرة فيما نعلم، جوبهت فيها الحكومة وجوبه فيها رجال السياسة بحقيقة ناصعة هي عين الحقيقة التي تعتقدها الأمة... فأما الذين ظهرت سريرتهم وخلصت نيتهم، فقد جندوا خطتنا...وحمدوا لنا هذا الموقف الذي وقفنا ضد محاولات التجنيس الخائبة ومحاولات هدم القومية واللغة والدين المجرمة... وأما الذين في قلوبهم مرض، والذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم وأنكروا ما لهذه الأمة من مجد، وما لها من تاريخ وما لها من روابط، تجعل منها أمة متحدة ومتجانسة، لها من الاتحاد والتجانس ما لأكثر الأمم تجانسا واتحادا في كل بلاد الأرض فأولئك قوم فزعوا من مقالنا كما تفزع الخفافيش عندما ينبثق نور الفجر».

ولقد كان لمقالة ابن باديس (كلمة صريحة) الأثر المطلوب واللازم، الأمر الذي دفع بصاحب مقالة (فرنسا هي أنا) السيد فرحات عباس أن يراجع نفسه، وهذا رغم قيام زناتي بإصدار أوامره بضرورة إنهاء تحالفهم مع جميع العلماء المسلمين خاصة فرحات عباس [14]، إلا أن هذا الأخير بدلا من أن يلبي طلب حليفه وزميله، فإنه قام بزيارة جريدة (الشهاب) بهدف شرح موقفه وسياسته للشيخ الإمام ابن باديس، الذي كتب يقول عنه [15]: «وإنا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا فيهم بهذه المناسبة الهمة العالية وشرف النفس، وطهارة الضمير، الأستاذ فرحات عباس الصيدلي، والعضو البلدي والعمالي بسطيف»، ويوضح ابن باديس أن هذا الرجل كان «من أهدافنا في مقالنا (كلمة صريحة) وهو الذي آخذناه عن مقاله (فرنسا هي أنا) وقلنا

له ولمن معه إنكم عندما تسمعون لسياسة الاندماج، وتحبذون التجنس وترضون ضياع حقوقنا الإسلامية مقابل حق الانتخاب، وتريدون – خلافا للطبيعة– أن يصير جمهور المسلمين بهذه البلاد جمهورا فرنسيا بحتا، لا يختلف عن الجماهير الفرنسية في شيء، وأنكم في واد والأمة في واد آخر».

ويذكر ابن باديس أن فرحات عباس بدلا من أن يغضب ويتألم ويتكدر، فإنه يسلك مسلك كبار رجال السياسة الذين يحبذون النقد وينصاعون لكلمة الحق «فزار إدارة الشهاب، وأكد لها تقديره لجهودها، وجرت له مع صاحب الشهاب محادثة دلت على سمو أدبه، وعلو كعبه في عالم السياسة والتفكير».

ويبدو أن ما قاله ابن باديس في كلمته الصريحة قد لعب دوراً أساسيا في دفع فرحات عباس قدما نحو مراجعة بعض أفكاره وميولاته السياسية، وإحداث بعض التعديلات فيها وقد بدأت هذه التغيرات تبرز بشكل واضح مع بدايات سنة 1937 حيث بدأ يشعر بمرارة الفشل بعد أن تبعثرت الأمالي التي كانت معلقة على الجبهة الشعبية ومشروع بلوم فيوليت ثم قيامه خلال سنة 1938 بتشكيل حزب جديد خاص به وهو (الاتحاد الشعبي الجزائري) وبه أعلن عن انفصاله عن تيار ابن جلول ويعتبر هذا بداية توجه فرحات عباس نحو الشعب خاصة بعد أن لاحظ بشكل جيد مدى نفاذ كلمة العلماء وسط الطبقات الشعبية [16].

ويظهر أيضا رفض ابن باديس لفكرة الاندماج في مقالته (الجنسية القومية والجنسية السياسية) [17] المنشورة على صفحات مجلة الشهاب الصادرة في فيفري 1937، وذلك في قوله: «فنحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية، وقد دلت تجارب الزمان والأحوال على أننا من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية، وإننا ما زدنا على الزمان إلا قوة فيها، وتشبث بأهدابها وإنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلا عن إدماجنا أو محونا».

ثالثا/ ابن باديس وفكرة الاستقلال

من أبرز القضايا السياسية التي سخر لها ابن باديس قلمه ولسانه خدمة لها، قضية الاستقلال، استقلال الجزائر وتحريرها من الاستعمار الفرنسي. ويمكن لنا القول أن جل الأنشطة

والأعمال التي قام بها كانت تندرج ضمن العمل من أجل تحقيق هدف الشعب الجزائري الأسمى، الاستقلال، وربما ما كتبه الشيخ محمد خير الدين في مذكراته [18] خير دليل على ذلك، حيث كتب يقول: أن ابن باديس عندما كان يفكر في توحيد جهوده الإصلاحية مع جهود إخوانه، وجه دعوة إلى مجموعة من إخوانه المصلحين واجتمع بهم –وكان الشيخ خير الدين أحدهم– في مكتبه بجريدة الشهاب في قسنطينة ألقى عليهم كلمة حلل فيها ابن باديس الوضع الخطير الذي أصبحت تعيشه الجزائر، ويذكر خير الدين أن ابن باديس في آخر الاجتماع خاطبهم قائلا: «وأنا أقول لكم في هذا اليوم لم يبق لنا إلا أحد أمرين لا ثالث لهما، إما الموت والشهادة في سبيل الله منتظرين النصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين، أو الاستسلام ومد أيدينا إلى الأغلال، وإنحناء رؤوسنا أمام الأعداء فتكون النتيجة لا قدر الله أن يجري علينا ما جرى ببلاد الأندلس وغيرها من البلاد الإسلامية، حين تركت الجهاد واستسلمت للأعداء». وعندما أعلن العلماء استعدادهم للتضحية عرض عليهم خطة العمل التي يمكن أن يحقق بها الاستقلال، والمتمثلة بصفة عامة في تأسيس المدارس والنوادي لنشر العلم، وإنشاء الصحف والمجلات لتوعية الشعب، والعمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية والحكم الأجنبي.

إن مبدأ عبد الحميد بن باديس في العمل السياسي هو (علم الشعب واجعله واعيا ثم أعطي له أدوات القتال لتحقيق الاستقلال)، ولقد أكد على هذا الأسلوب ذات يوم من أيام سنة 1933، حيث يذكر الشيخ محمد خير الدين في مذكراته [19] أنه التف حول ابن باديس نفر من الشباب المتحمس بنادي الترقي وطلبوا منه أن يرفع صوته قويا مدويا عاليا مطالبا باستقلال الجزائر وحريتها، فقال لهم: وهل رأيتم أيها الأبناء إنسانا يقيم سقفا دون أن يشيد الجدران؟ فقالوا: كلا، فقال لهم: إن من أراد أن يبني دارا فعليه أن يبني الأسس ويقيم الجدران أولا ثم يشيد السقف على تلك الجدران، ومن أراد أن يبني شعبا، ويقيم أمة فإنه يبدأ من الأساس لا من السقف، إذن فالأساس عند ابن باديس هو نشر العلم والمعرفة والقضاء على البدع والخرافات والتمسك بالهوية والشخصية الوطنية، وبالتالي انتشار الوعي، وبعد ذلك فقط يمكن بناء السقف الذي لن يسقط أبدا لأنه مبني على أسس متينة جداً.

ولقد كتب عن فكرة الاستقلال هذه في مجلة الشهاب في العد الصادر في جوان 1936 في مقالته (حول كلمتنا الصريحة) التي استعرضنا بعض محتوياتها من قبل، يرد فيها على بعض انتقادات خصوم جمعية العلماء المسلمين الذين اتهموها بالانشغال بالسياسة، وإنها تعمل على إثارة الشعب الجزائري، كتب يقول: «لكن خابت آمالهم! فنحن قوم لا نتأخر عن الخوض في مثل هذه الميادين وإنهم لا يزعجوننا أن جرونا للبحث في مسألة الاستقلال». فالمطالبة بالاستقلال إذن كان شيئا عاديا بالنسبة لابن باديس، وهو لا يخاف الخوض في هذا الموضوع، ومن ورائه جمعية العلماء المسلمين، هذه القضية التي كانت من المحرمات في تلك الفترة، والويل ثم الويل لمن يتناولها بالحديث. ونجد ابن باديس يعتبر الاستقلال حقا طبيعيا، لكل أمة من أمم الدنيا، وقد استقلت أمم «كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون إن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد، فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها تزداد تقلبا مع التاريخ» [20].

والاستقلال الذي كان يطمح إليه ابن باديس ومن ورائه الشعب الجزائري، هو الاستقلال التام، وتعامل الجزائر من طرف فرنسا الند للند والحر للحر، وليس من العسير بل إنه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عامة والفرنسية خاصة، وتسلك فرنسا مع الجزائر مسلك انجلترا مع أستراليا وكندا، واتحاد جنوب إفريقيا، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا تاما واسعا تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر [21].

رابعا/ الوحدة الوطنية عند ابن باديس

تعد قضية الوحدة الوطنية من القضايا الأساسية والمهمة التي أولى لها ابن باديس اهتماما خاصا في العديد من كتاباته، خاصة مع محاولات فرنسا المتكررة لتفكيك هذه الوحدة بإثارة النعرات العصبية والقبلية، والتفريق بين أبناء الشعب الواحد، فزعمت أن البربر لهم كيان مستقل، ووجود متميز عن العرب، فمنعتهم من تعلم اللغة العربية، فتصدى ابن باديس لهذا المشروع في مقالته الرائعة وأروع ما فيها عنوانها (ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان) [22] والتي نشرها في

جريدة الشهاب الصادرة في فيفري 1936 والتي وقعها باسم عبد الحميد بن باديس الصنهاجي، وهو هنا يشير إلى انتمائه إلى قبيلة صنهاجة الأمازيغية ولكن رغم ذلك فهو يعرف اللغة العربية بشكل يفوق كل التصورات.

بدأ مقالته هذه بفقرة من خطاب كان قد ألقاه في حفلة أقامتها جمعية العلماء في نادي الترقي، وهذا الخطاب ألقاه بعد خطاب الشيخ يحي حمودي والذين كان باللغة الأمازيغية، حيث يقول فيه ابن باديس: «إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرناً، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء، وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء، حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله...».

ويتساءل بعد ذلك الشيخ ابن باديس في ذكاء وتعجب: «فأي قوة بعد هذا يقول قائل تستطيع أن تفرقهم؟ لولا الظنون الكواذب والأماني الخوادع يا عجبا! لم يفترقوا وهم الأقوياء فكيف يفترقون وغيرهم القوي كلا والله... بل لا تزيد كل محاولة للتفريق بينهم إلا شدة في اتحادهم وقوة لرابطتهم... والإسلام له حارس، والله عليه وكيل...».

خامسا/ ابن باديس والمؤتمر الإسلامي

يذكر الشيخ البشير الإبراهيمي أن التاريخ المنصف، سيسجل أن فكرة الدعوة إلى عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري هي للأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس، حيث نشر في جريدة (لاديفانس) في عددها الصادر يوم 13 جانفي 1936 آراء له في السياسة الجزائرية، كان لها وقع عظيم «ومن تلك الآراء التي ارتآها الأستاذ عقد مؤتمر إسلامي جزائري فكان أول من فكر في عقد هذا المؤتمر قبل فوز الجبهة الشعبية بأشهر، وللأستاذ آراء في شؤون الأمة والواسطة لذلك هي المؤتمرات» [23].

ويؤكد الشيخ محمد خير الدين ذلك في مذكراته [24]، التي يذكر فيها أن الشيخ عبد الحميد بن باديس دعا أعضاء المكتب الدائم لجمعية العلماء المسلمين لحضور اجتماع طارئ في

أواخر سنة 1935، وخلال الاجتماع قال لهم ابن باديس: «نظرا لتدهور الحالة العامة في الجزائر والبلبلة السياسية السائدة، واختلاف الأحزاب، والهيئات الوطنية، وتشتتها، رأيت أن أدعو إلى مؤتمر إسلامي جزائري عام، يجمع الشمل ويوحد الصف، ويحدد الهدف، لأن المرجع في أمور الأمة يعود إلى الأمة، والواسطة لذلك هي المؤتمرات والندوات التي تفحص فيها الأمور وتحصحص النتائج، والاجتماع أصل من أصول تشريعنا الإسلامي، فلماذا لا نعمل به في السياسة، لهذا جمعتكم لأستطلع رأيكم، وأطلب منكم الموافقة على توجيه الدعوة باسم رئيس الجمعية إلى مثقفي العربية والفرنسية، والنواب والأحزاب وكل من يهمه أمر البلاد والعباد من الطوائف والمنظمات الوطنية، لعقد هذا المؤتمر في العاصمة لمناقشة الحالة الراهنة، وتدارس أبعادها ونتائجها السلبية والإيجابية». ويواصل خير الدين شهادته بالقول إن كل الحاضرين وافقوا على الفكرة، وعلى توجيه الدعوة باسمه ونشرها في جريدة (الدفاع) (لاديفانس) للأستاذ محمد الأمين العمودي، وظهرت في العدد الصادر بتاريخ 3 جانفي 1936.

كان هدف ابن باديس من هذه الدعوة هو جمع شمل الأمة، وتوحيد صفوف الشعب الجزائري الذي كان مشتتا وراء الأحزاب والهيئات الوطنية، وكذا أن يقوم هذا المؤتمر بتحديد الهدف الذي يجب على الجزائر أن تعمل من أجل تحقيقه، ولكن ابن باديس من خلال اطلاعنا على كل ما كتبه بشأن هذا المؤتمر نستنتج أنه كان مقتنعا في قرارة نفسه أن فرنسا لن تستجيب للمطالب الجزائرية التي ستنبثق عن هذا المؤتمر الذي انعقد فعلا يوم 7 جوان 1936، وكان ابن باديس يهدف من وراء ذلك أيضا، أن يثبت لدعاة الاندماج أن دعوتهم هذه من الاستحالة أن تلقى القبول عند السلطات الفرنسية، وكذلك أن يضع فرنسا الاستعمارية على محك الاختبار والتجريب. وتحقق ذلك، وهو أن الوفد الذي كلفه المؤتمر بالسفر إلى فرنسا ومن بينهم ابن باديس أخفق إخفاقا كبيرا، ولم يحقق أي نتيجة، ولقد كانت لابن باديس مشادات عنيفة مع بعض رجال الحكومة الفرنسية على حد قول أحمد توفيق المدني في مذكراته [25]، حيث أن هذه المشادات أدت إلى أن قال أحد الوزراء للشيخ ابن باديس: تذكر أن فرنسا معها المدافع، فأجابه ابن باديس بتؤدة ووقار: وتذكر أنت يا سيدي الوزير أن الجزائر معها الله.

وما جعلني أقول أن ابن باديس كان مقتنعا بفشل المؤتمر في تحقيق مطالبه، هو ذلك الخطاب الذي ألقاه ابن باديس في الملعب البلدي بالجزائر العاصمة عند رجوع الوفد من باريس، وذلك في تجمع 2 أوت 1936 مخاطبا الشعب الجزائري: «إنك بعملك العظيم الشريف برهنت على أنك شعب متعشق للحرية، وهائم بها، تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا منذ ركنا نحن الحاملين للوائها، وسنعرف في المستقبل كيف نعمل لها، وكيف نحيا ونموت لأجلها، إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا، وفتحنا قلوبنا، فإن مدت إلينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد، وإن ضيعت فرنسا فرصتها هذه فإننا نقبض أيدينا، ونغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد » [26]. كما يبرز ذلك بشكل واضح في ذلك النداء الذي وجهه إلى الأمة في العدد الصادر في شهر جويلية 1936 من مجلة الشهاب والذي يدعو فيه الشعب الجزائري إلى ضرورة الاتحاد وأن يعرف قيمته العظيمة، وأن يضع في نفسه الثقة، هذه الثقة التي ستحقق له النصر: «أيتها الأمة الكريمة، أيها النواب الكرام، اليوم وقد أيسنا من غيرنا يجب أن نثق بأنفسنا، اليوم وقد تجوهلت قيمتنا يجب أن نعرف نحن قيمتنا، اليوم وقد خرست الأفواه عن إجابة مطالبنا، يجب أن نقول نحن كلمتنا اليوم، وقد اتحد ماضي الاستعمار وحاضره علينا، يجب أن تتحد صفوفنا».

وابن باديس لم يكتف بهذا القدر، بل أخذ يكرر في مقالات كثيرة ومتتالية، ونداءات متكررة الدعوة إلى الثقة بالله، والاعتماد على النفس، ومداومة العمل والاستعداد للتضحية في سبيل الجزائر، وأبرز دليل على هذا ذلك الموقف الذي حدث معه في تلمسان عندما كان متواجدا بها في خريف 1937 بغرض تدشين دار الحديث، حيث يصف المصلح المغربي إبراهيم الكتاني هذا الموقف حيث يقول أنه عشية وصوله إلى تلمسان رافقه ابن باديس لأطلال مسجد المنصورة، حيث حرر هناك نداء يدعو فيه الأمة الجزائرية للصيام وملازمة المساجد بمناسبة ذكرى مرور قرن على احتلال مدينة قسنطينة، «ولما قرأه علينا أخذ أحد تلامذته يثبط عزيمته ويحذره من مغبة نشره، فغضب ابن باديس وقال: «يا أبنائي إنكم تعلمون أني لم أطلب أي شيء لنفسي، ولكني اليوم أطلب لنفسي شيئا واحدا وهو أن تسمحوا لي أن أكون أول ضحية في سبيل الجزائر عندما يحين الوقت للتضحية في سبيلها...» [27].

الخاتمة:

ويمكن لنا اعتبار ما جاء في مقالته (هل آن أوان اليأس من فرنسا؟) [28] من أبرز وأهم الوصايا السياسية التي قدمها ابن باديس للشعب الجزائري وذلك قبل أن يرحل عن هذه الدنيا بثلاث سنوات فقط وإرتأيت أن أجعل من هذه الوصية خاتمة لهذه الدراسة: «أيّها الشعب الجزائري! أيّها الشعب المسلم! أيّها الشعب العربي الأبيّ! حذار من الذين يمنونك ويخدعونك، حذار من الذين ينوّمونك ويخدّرونك، حذار من الذين يأتونك بوحي من غير نفسك وضميرك، ومن غير تاريخك وقوميتك، ومن غير دينك وملّتك وإبطال دينك وملتك، استوح الإسلام، ثم استوح تاريخك، ثم استوح قلبك، اعتمد على الله ثم على نفسك وسلام الله عليك».

الهوامش:

1- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري**، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ج2، ص 24.

2- تركي رابح: **الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص 154- 155.

3- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2005، ج3، ص 308-309.

4- نشرها في مجلة الشهاب في العدد الصادر في جانفي 1938، انظرها أيضا في آثار الشيخ الإمام... المصدر السابق، ج5، ص ص 361- 365.

5- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، المصدر السابق، ج5، ص 72.

6- المصدر نفسه، ج4، ص ص 109- 113.

7- Ali Merad **: Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940** (Paris 1967), p 405.

8- Ibid., p 411.

9- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 2005، ج6، ص374.

10- المصدر نفسه، ص 375.

11- محفوظ قداش: **تاريخ الحركة الوطنية الجزائر 1919- 1939**، دار الأمة، الجزائر، 2011، ج1، ص 557-558.

12- انظر هذه المقالة في آثار الإمام، المصدر السابق، ج5، ص ص 280- 288.

13- المصدر نفسه، ص ص 289-296.

14- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 563.

15- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، المصدر السابق، ج5، المصدر السابق، ص 290.

16- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1992، ج3، ص74.

17- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، المصدر السابق، ج5، ص ص 313- 315.

18- محمد خير الدين، **مذكرات**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1، ص ص 83- 86.

19- المصدر نفسه، ص 348.

20- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، المصدر السابق، ج5، ص ص 293- 294.

21- المصدر نفسه، ص 294.

22- المصدر نفسه، ص ص 447- 448.

23- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: **أحمد طالب الإبراهيمي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1997، ج1، ص 247.

24- محمد خير الدين، المصدر السابق، ص ص 327- 328.

25- أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ج2، ص 366.

26- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، المصدر السابق، ج5، ص ص 304- 305.

27- محمد خير الدين، المصدر السابق، ص 407.

28- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، المصدر السابق، ص ص 325- 326.